مع غزّة

أمل الحارثي

لنَحم أسماء الشهداء وقصَصهم من النسيان

تقف هذه الزاوية مع مبدع عربي في أيام العدوان على غزّة وكيف أثر على إنتاجه وحياته اليومية، وبعض ما يودّ مشاركته مع القرّاء. «علينا سردُ حكايات الضحايا والإضاءة على إنسانيتهم في عالم يُريد أن يُظهرهم كبشر أقلّ قيمة»، تقول الكاتبة الأردنية

عمّان ـ **العربي الجديد**

■ ما الهاجس الذي يشغلكِ هذه الأيام في ظل ما يجري من عدوانٍ إبادةٍ على غزّة؟

لا شيء يشغلني هذه الأيام، ومنذ تسعة شهور، سوى غزّة، أدور في فلكها، واعتقد أنّني كبرت سنواتٍ في الشهور الأخيرة.

بطاقة

كاتبةٌ أردنية وناشطة في مجال حقوق المرأة، من مواليد عمّان عام 1975. شاركت في تأسيس «ملتقى المرأة العربية» عام 2014، وهو مجلّة أدبية إلكترونية تهدف إلى تشجيع النساء على القراءة والكتابة. صدرت لها مجموعة قصصية بعنوان «حكايا النساء» (2017)، ورواية بعنوان «من قاع البئر» (2023)، ولها روايةٌ غير منشورة بعنوان «وضي العمر بقيّة». نشرت العديد من المقالات في تمكين المرأة في صحف ومواقع عربية مختلفة.

القلق يلازمني في النهار والأرق يحتلّني ليلاً. أنا أدرك أنّ معاناتي لا تقارَن بمَن هُم على الأرض، لكن سياط العجز تنهش الروح وعذاب الضمير لا مهرب منه.

■ كيف أثّر العدوان على حياتك اليومية والإبداعية؟

مررت بمراحل متعدّدة منذ بداية حرب الإبادة وحتى اليوم، مرحلة العزيمة القوية والدفاع بالكلمة عبر المقالات أو منصّة «إكس» (تويتر سابقاً)، وهي المنصة التي كان لها أثرٌ في تغيير السرديّة لصالح الفلسطينيّين، ثم مررت بمرحلة «لا شيء يفيد» فاعتزلت وابتعدت، وبدأت بكتابة رواية عن غزّة، بعد استشهاد الصحافية الصديقة علا عطا الله، التي تعرّفت إليها قبل سنة من استشهادها عبر المنصّة نفسها. في تلك الفترة، كنتُ أعيش وحدي، وكانت حياتي تدور حول غزّة وما يجري فيها، ممّا جعلني أمرُّ بحالةٍ نفسيّة أثرتْ فيها التوقّف عن الكتابة والابتعاد لفترة، وهكذا ما زلت أتأرجح بين القوّة والعزيمة والعجز واليأس، فقَدتُ السكينة حالي حال كلّ مواطن عربي متألّم.

■ إلى أي درجة تشعرين أن العمل الإبداعي ممكنٌ وفعّال في مواجهة حرب الإبادة التي يقوم بها النظام الصهيوني في فلسطين اليوم؟

للعمل الإبداعي دورٌ في تغيير سردية المحتلّ، لكن في المعركة الأخيرة، للأعمال الإبداعية دور إضافيٌ هو سرد حكايا الضحايا، تسليط الضوء على إنسانيتهم في عالم يُريد أن ينزع عنهم صفات البشر ويُظهرهم ككائنات أقلّ. الأعمال الإبداعية يجب أن تُذكّر العالم بالشهداء، بأسمائهم، وإنجازاتهم، وأحلامهم التي حرمهم الاحتلال من تحقيقها. الشهداء ليسوا أرقاماً، وهذا ما يجب على الأعمال الإبداعية التركيز عليه، على الأقلّ لنحفر قصصهم وأسماءهم في ذاكرتنا ونحميهم من النسيان.

■ لو قيّض لكِ البدء من جديد، هل ستختارين المجال الإبداعي أو مجالاً آخر، كالعمل السياسي أو النضالي أو الإنساني؟

أنا بعيدة عن السياسة، وهذا البعد نابعٌ من معرفةٍ لا جهل، لأنّني أفهمها جيداً أبتعد عنها. لقد قرّرت الاهتمام بالشقّ الحقوقي والاجتماعي والإنساني، فالسياسة تحتاج للمراوغة وصفات لا أمتلكها، أؤمن بأنّ التغيير يأتي من القاعدة، من المجتمع، ثمّ يطاول المستويات الأخرى من مسؤولين وسياسيّين. التوعية هدفي والتغيير حلمي ولهذا أكتب.

الكلمة اليوم لأهل غزة، هُم مَن يقول ويفعل ويُعلم

يجب تحرير العالم كلّه، والأمل في الجيل الجديد

■ ما هو التغيير الذي تنتظرينه أو تريدينه في العالم؟

هناك تغييرٌ أرجوه في وطني، وفي الوطن الأكبر (الوطن العربي) وهو أن يسود العدل وتعمّ المساواة. أتمنّى بلاداً لا ظلم فيها، ولا استبداد دينيّاً أو سياسيّاً. أتمنّى أن ننعم بالحرية ولا يُعاقَب مواطن بسبب فكرة مختلفة. وللمرأة؛ وهي الهمّ الأكبر، أتمنّى أن تحظى بحقوق طال انتظارها. أمّا على الصعيد العالمي، فالحرب الأخيرة أظهرت لنا تحكّم الصهيونية في السياسة الدولية والإعلام العالمي. العالم كلّه اليوم يجب أن يتحرّر، والأمل بالجيل الجديد الذي يخرج كلّ يوم في ساحات الجامعات العريقة ليطالب بالتحرّر من النزعة الاستعمارية المسيطرة.

■ شخصية إبداعية مقاومة من الماضي تودين لقاءها، وماذا ستقولين لها؟

أمل الحارثي

يكون المرض ناتجاً عن القهر والتهجير الذي تسبّب فيه الاستعمار أيضاً. لغسان وإبراهيم أقول: لقد عشتما عمراً قصيراً، لكنّكما عشتما الدهر كلّه.

■ كلمة تقولينها للناس في غزّة؟

لقد غيّرتم العالم بصبركم وصمودكم. أكتفي بهذا الجواب لأنّني أشعر بالخجل من أن أقول شيئاً لأهل غزّة. الكلمة اليوم لأهل غزّة، هُم من يقولون ويفعلون ويعلّمون العالم الطريق إلى الحرية.

■ كلمة تقولينها للإنسان العربي في كلّ مكان؟

العالم لا يرانا بشراً متكافئين في القيمة. الطفل العربي لا يساوي الطفل الغربي. علينا أن نرفع قيمة الإنسان في بلادنا، ربّما علينا التوقّف عن الفخر باعدادنا ونركّز على رفع قيمة الفرد. كتبتُ تغريدة عبر منصّة «إكس» بمثابة رسالة للعرب في كلّ مكان: «لنَنشغل بإعمار أنفسنا، فنأكل ممّا نزرع، ونلبس ممّا نصنع، لنهتمّ بالنوعية والقيمة حتى نؤثّر. علينا أن نكون ندّاً بإنجازاتنا».

■ حين سُئلت الطفلة الجريحة دارين البيّاع التي فقدت معظم أفراد عائلتها في العدوان: ماذا تريدين من العالم، أجابت «رسالتي للناس إذا بيحبوا دارين يكتبوا لي رسالة أو أي إشي».. ماذا تقولين لدارين ولأطفال فلسطين؟

والله هذا السؤال أبكاني، أتمنّى يا دارين لو أستطيع أن أغمرك في حضني أنتِ وكلّ أطفال غزّة. أتمنّى أن يمنحني الله شرف أن ألقاك في يوم من الأيام، وأن أستطيع تعويضك عن فقدان الأمّ ولو ليوم واحد.

أتذكّر تغريدة الشهيدة الأديبة هبة أبو الندى: «نحن في الأعلى نبني مدينة ثانية، أطبّاء بلا مرضى ولا دماء، أساتذة بلا ازدحام وصراخ على الطلبة، عائلات جديدة بلا آلام ولا حزن، وصحافيون يصوّرون الجنة، وشعراء يكتبون في الحب الأبدي، كلّهم من غزّة، كلّهم، في الجنّة توجد غزّة جديدة بلا حصار تتشكّل الآن»، وعائلتك معهم يا دارين.

إضاءة

حكاية بدأت عام 1967 ولا تزال مستمرّة

عن سيرة البطيخة مرّة أُخرى

فاكهةُ صيف الفلسطيني وحاضنةُ ألوان علمه تعبر القارّات، تُشاكس البوليس السرّي والعلني والجيوش التي تجنّدت ضدّ الرموز الفلسطينية

أمير داود

على الرغم من كون لون البحر، الذي يحدّ فلسطين من الغرب، أزرق، إلّا أنّ الأزرق يظلّ لوناً مذموماً في الوجدان اللوني لدى الفلسطينيّين. هذه ليست مزحة، أو مراكمة شعاراتية يبتكرها ذهنٌ من يتنفّسون دخان الحرب هذه الأيام. ثمّة مقاربة أخرى: الحروف، ثمّة وجدان كلامي أبيض، أو لِنَقُل صوتياً، يذمّ حروفاً مثل الخاء والشين، وهي الحروف المؤسِّسة للغة «العابرين على ثريّات المدى السكّري» في بلادنا، الذين ما إن تسمعهم يتكلّمون، حتى تتنطّط هذه الحروف في أذنيك مثل أصوات زائدة عن حاجة اللغة أو الحوار أو اللحظة الضيقة التي إمّا أن تكون لحظةً على حاجز طويل في ظهيرة قائظة، أو لحظة تكون فيها أنت، أو أحد أحبّائك، معتقلاً لديهم ومرحَّلاً في سيارة مع جنود متجهّمين بفطرة القمع والاحتلال إلى جهة لا تتبيّنها.

هكذا تفعل لحظة الاحتلال الطويلة والمستمرّة منذ ستّة وسبعين عاماً فينا، وهي اللحظة التي أريد لها أن تحتلّ، من جملة ما تحتلّ، العقل والجسد والوجدان والصوت الذي نسمعه والهواء الذي نتنفّسه، حتى تُغلفلت في زوايا بعيدة لا يُقبض عليها إلّا بالتأمّلات الطويلة التي تليق بزمن السجن الذي يمتدّ على الوقت ويفرد جناحيه على الإحساس والألم الذي لا يتوقّف.

وإذا كانت لحظة الاحتلال قد أفضت إلى تأمّلات عجائبية لا يقبض عليها إلّا الفلسطيني بالفهم والدلالة في ظرفه الخاص، فقد كان العلم أحد هذه التأمّلات، إذ كيف تفهم أن يأخذ البطيخُ، باعتباره فاكهة الصيف الفلسطيني الذي تقلّب طويلاً أسفل شمس مرج ابن عامر في الشمال، وحاضن ألوانه الأربعة بقدرة قادر، هذه المكانة، ليس في الحيّز الفلسطيني من البحر إلى النهر وحسب، بل عبوراً للقارّات من غربها إلى شرقها، ومن شمالها إلى جنوبها، محمولاً على رايات تُشاكس البوليس السرّي والعلني والجيوش التي تجنّدت لحربها ضدّ كلّ رمز فلسطيني.

تمرُّ على ذهني هذه الأيام قصّةُ المقابلة التي طلبها قائد قوّات الاحتلال في الضفّة الغربية بُعيد الاحتلال عام 1967، مع مجموعة من الفنّانين الفلسطينيّين ليُملي عليهم شروطه عندما كانوا بصدد إنشاء ما يُشبه اتّحاداً عامّاً للفنّانين أو رابطة تجمع هؤلاء الذين كان من بينهم سليمان منصور وعصام بدر ونبيل عناني. وكانت جملة الضابط الإسرائيلي واضحة وقاطعة: «يُمنع عليكم رسم أو تشكيل أو تصوير أيّ شيء له علاقة بالعَلَم الفلسطيني، بألوانه الأربعة، بالترتيب أو بغير الترتيب، حتى لو كانت عبارة عن نقاط متناثرة على صفحة، ودعوني أقول لكم أيضاً: ممنوع عليكم أن ترسموا حتى بطيخة!».

ارتطمت المفردة على الطاولة التي تفصل الفنّانين عن الضابط الذي لا يُتقن إلّا لغة التجهّم مثل طرقة على باب يفضي إلى حديقة: بطّيخة!

اليوم، يعود العسكري المسلّح بالبندقية والهراوة، والذي فرد أوامره وشروطه على طاولة الاجتماع في ذلك اليوم، مع فنّانين أرادوا أن يُنشئوا اتّحاداً لهم، يعود مرّة أخرى، يعود افتراضياً هذه المرّة، ناعماً وأزرق تحت مسمّى «معايير مجتمع منصّات التواصل الاجتماعي» الذي تقمّع اللون والعلَم والفكرة، تُزيحها جانباً، وتفرد للأزرق السماوي البشع مساحةً لا يحدّها نهرٌ ولا يمنعها بحر من التسلّل إلى كلّ مكان.

ولكنّ الذهن البشري «الفنّان» في قدرته على خنق الفكرة والرقابة على اللون

يعود المنع تحت مسمّى معايير منصّات التواصل الاجتماعي

وتسييج الأفق، فنّانٌ أيضاً في قدرته على التجاوز وابتكار الحيلة التي تُواجه المنع بالإبداع والخلق والقفز على الجدار، بالاستعارة من الجدار الذي بناه كيانُ الأزرق على بطّيخنا، فصارت وظيفته مشاهدة القفز من أسفل.

أشاهد بطيخة فلسطين وهي تتدحرج على أكتاف ورؤوس المحتجّين الغاضبين في كلّ العالم، بطّيخة كاملة، أو «مشقوحة» مثل التي تجدها على موائد المخيّمات والقرى الصغيرة في أيامنا هذه، وأتذكّر زماناً تجوّلتُ خلاله في السهل، حين كانت للسهل رائحة لا تُخطئها أنوف الخائفين، رائحة بطّيخ يخبز نفسه على حرارة شمس تفوز، ويوزّع خيره على المازن، وعلى الأفاعي، وعلى أقدام الهاربين من الأزرق السماوي، ومن حروف تتطاير بالخاء والشين في كلّ مكان.

(كاتب من فلسطين)

من تظاهرة مُناصرة لفلسطين في مدينة ملبورن الأسترالية، 23 تشرين الثاني/ نوفمبر 2023 (Getty)

قصيدتان

أدين بهذه القصيدة لطفل فلسطيني

مرثية من أجل عبد الله

الصوت يتوقّف للصراخ/ من أجل أن تتوقّف الجرائم في فلسطين/ ولا ينبغي لي أن أبكي، لأنّه كما قيل في كتاب الأكاذيب الرجعية: «الرجال لا يبكون»

ميغيل بارنيت

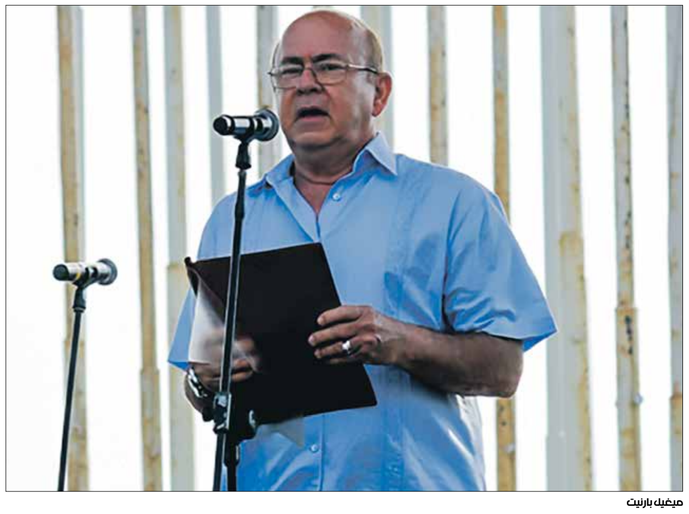
ميغيل بارنيت

عبد الله

أدين بهذه القصيدة لطفل فلسطيني
رأيته في صورة حوّلت قلبي إلى جلّيد.
كان الطفل صورة
مئات الأطفال المقتولين،
والذين يظهرون يومياً في أخبار العالم.
أتساءل:
أين إله المعجزات؟
لماذا لا يحوّل الرماد إلى قربان؟
لماذا لا يوقف هذه الجريمة البشعة؟
لماذا لا يسكن معنا
في هذه الأرض الملتهبة من الظلم
والافتراس؟

الآن، لديّ رغبةٌ جامحة في أن أكون كمثل إله
المعجزات
كي أوقف هذا الرعب،
وهذه المجازر.
لقد قلت إنّني أدين بهذه القصيدة لطفل
فلسطيني اسمه عبد الله،
قُتل في غزّة،
وكان صورة مئات الأطفال الفلسطينيّين
التي تظهر يومياً في أخبار العالم.
لديّ رغبة في أن أكون أيضاً كمثل هوميروس
كي أكتب مرثية لهذا الطفل الذي
سبق وقُتل إنّه صورة العديد من الأطفال
المقتولين
الذين يظهرون يومياً في
نشرات أخبار العالم.

لكن حجراً حادّاً عبر حنجرتي
والصوت يتوق للصراخ
من أجل أن تتوقّف الجرائم في فلسطين،
ولا ينبغي لي أن أبكي، لأنّه كما قيل في
كتاب الأكاذيب الرجعية:
«الرجال لا يبكون».

■■■

كابوس

إلى رولاندو قطّان

الزمن قصّة كاذبة لا غير.
كلّ شيء يصبح مختلفاً،
وفي المفارقة النادرة يصبح القديم جديداً
في فضاء الأسود المدنّس

بطاقة

Miguel Barnet Lanza شاعر وروائي ومفكّر كوبي من مواليد هافانا عام 1940. أسّس «الاتحاد الوطني للكتّاب والفنّانين» وترأسه بين عامَي 2008 - 2019. يُعدّ من أبرز الكتّاب الكوبيّين في العالم. حاصل على «الجائزة الوطنية للأدب» عام 1994. من أعماله الشعرية: «جزيرة الجن» (1964)، و«قصائد صينية» (1993)، و«المحضر الأخير» (2000).

ولكن ما عساي أن أفعل إذ حيث حلمت
بالجنّ والأقزام في ايرلندا
شُيّد فندق خمس نجوم شاهق
وما عساي أن أفعل إن كان الآن مكان
نافذة متجر عمّتي إيدوكسيا، ثمّة على
نافورة صودا،
وإن كان مكانَ حديقة منزلي ثمّة الآن شركةٌ
لامعة
تبيع ألواح الشوكولاتة والبيرة الأجنبية
بأسعار باهظة؟

ما عساي أن أفعل، إذن، إن كان الزمن
قصّة كاذبة لا عودة فيها إلى الوراء؟

(ترجمة عن الإسبانية: جعفر العلوني)

فعاليات

ننجو بالخيال وحده، عنوان لقاء افتراضي يُقام عبر منصّة «زووم»، ويجمع كُلّاً من الشاعرة اللبنانية **اصالة لمع** (الصورة)، والكاتبة الجزائرية **راضية تومي**، عند الثامنة (بتوقيت الجزائر)، من مساء 28 الشهر الجاري، ضمن سلسلة لقاءات شهرية ينظّمها «بيت الثقافة والفنون» في واشنطن.

يعقد «منتدى تفاكُر للحوار والثقافة»، عند الخامسة والنصف من مساء بعد غدٍ السبت، ندوةً في «المركز المجتمعي» ببيلك في دوسلدورف الالمانية، يُطلق فيها كتاب **مسلمو اوروبا: قضايا الدين والهويّة والاندماج: بين تحدّيات الحاضر ورهانات المستقبل** للباحث السوري **محمد نفيسة** (الصورة)، ويُحاوره **البراء السعدي** و**حسام الدين درويش**. تُبثّ الندوة عبر وسائل التواصل الاجتماعي.

يفتتح «مسرح الدمى اللبناني»، مطلع الشهر المُقبل، على خشبة مسرح «دوّار الشمس» في بيروت، برمجته الصيفيّة بعرض يحمل عنوان **فراس العطّاس**. تحكي المسرحية قصّة طفل ذكيّ جدّاً اسمُه «فوّاد»، والذي يُواجه لهذا السبب مشاكل في التواصل مع أقرانه، فيبتكر شخصية وهمية يسمّيها فراس العطّاس.

حتى 29 من الشهر الجاري، يتواصل معرض **عالم العجائب** للتشكيلي التونسي **حمدة السعيدي** في «رُواق روبنزوف» بمدينة المرسى، شمالي تونس العاصمة. يلتقط الفنّان المشاهد العادية من الحياة اليومية، ويُعيد صياغتها وفقاً لرؤية مفعمة بالألوان الفاقعة والزركشات الشكلية السريعة ولا تخلو من الحسّ الساخر.